فلما حضرت بين يديه قال لها البيك واحرها بضرب العود وطلب
تلك الكاس وشربها والله اعلم ويحكي ان القاضي يحيى بن
اكثم كان مولعا بالشراب فرفع الى الخليفة المامون رقعة
فيها ان القاضي يشرب في بستان له مع جواريه وقد جعل
الحرس حول البستان فركب المامون مختفيا ودخل البستان
فراى القاضي قد انتشى به السكر وهو طريح بين الورد والرياحين
والخمار من الرياحين والجواري حوله يلعبن ويغنين فلو ثار هو
فعل المامون لشعرا في حضرة الحال وعلمه لبعض ملحمنة
لرقيقة واخذت عودها وجلست عند راسه وحركت العود وغنت
نادبة وصوتت لا احرك به فكفني بين اثواب الروض حبيبي
فقلت قم قال رجلي لا انطاوعني فقلت خذ قال كفي لا اتوانيني
فانتبه القاضي لرقة العود وصوت الجارية وفتح عينيه فراى
المامون عند راسه جالسا فقال يجيبها لبديع الحال
يا سيدي واصلح الناس كلهم قد جار في حكمه من كان يسقيني
اني غفلت عن الساقي فصيرني كما ترى سليب العقل والدين
لا استطيع نهوضا وقد وهى بدني ولا اجيب المنادي حين يدعوني
فاختر لنفسك قاضي اني رجل الراح تقتلني والراح تحييني
قال فطرب المامون ثم قال لا تثريب عليك فيما جرى وجهها
الا من عصاه وهم فيه لاجل التوبة فقال والله لا رجعت
لشربها ابدا فقال المامون وانا والله لا هتكت لستري ابدا ثم
اخرج مكرما ولا يعنه وزاد في احسانه وكان مهابا نافذ الكلمة
عند المامون لا يقدر احد من الوزراء والامراء ان يستبد برايه
دون رايه ومشورته وكانت ولايته لقضاء البصرة لسنة
اكثيني وما بيني يبلي لما ولي قضاء البصرة كان سنه عشرين
عاما فاستصغره اهل البصرة فقالوا كم سن القاضي فعلم انه
قد استصغر فقال انا اكبر من عتاب بن اسيد الذي ولاه النبي
صلى الله عليه وسلم قاضيا على مكة يوم الفتح وانا اكبر من معاذ
بن جبل

ابن جبل الذي بعثه النبي صلى الله عليه وسلم قاضيا على اهل اليمن
فجعل جوابه احتجاجا وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد ولى عتاب
ابن اسيد وعمره احدى وعشرين سنة ويقال ان المامون لما
ولاه امتحنه بوجوه مشتبهات في العلوم وقد استظهر حوزه وعرف وجوه
وظهر في الايجاز علمه وفي رياسته وفضله وبيانه ولم تخط نبيه
عويصة ودواهي جليلة وهو ابو جميلة ويقال انه ذكر لاحمد بن
حنبل رضي الله عنه ما يرميه الناس فقال سبحان الله من يقول
هذا وانكره انكارا شديدا ويحكي انه لما مات راه بعض
اصحابه في المنام فقال له ما فعل الله بك فقال غفر لي الا انه وبخني
وقال لي يا يحيى خلطت علي في دار الدنيا فقال يا رب ما بهذا حدثت
عنك فقال فيم حدثت عني يا يحيى فقلت الابيع وسيبويه
حدثني معمر عن الزهري عن ابن شهاب عن عروة عن عائشة عن
النبي صلى الله عليه وسلم عن جبريل عنك سبحانك انك قلت اني
لاستحيي ان اعذب ذا الشيبة شاب في الاسلام فقال يا يحيى صدقت
وصدق معمر وصدق الزهري وصدق ابن شهاب وصدق عروة وصدقت
عائشة رضي الله عنها وصدق محمد صلى الله عليه وسلم وصدق جبريل
وصدقت انا وقد غفرت لك هذا وفي البيت من البديع الجمع
والتقسيم لانه جمعهم في الميل على الاكوار ثم قسمهم قسمين
فمنهم طرب صاح ومنهم من النعاس فتى سكران ومثله كذا قول
ابي الطيب المتنبي الدهر معتذر والسيف منتظر وارضهم
لك مصطاف ومرتبع للسبي ما نكحوا والقتل ما ولدوا والنهب
ما جمعوا والنار ما زرعوا والطف من هذا قوله صلى الله عليه وسلم
مالك من مالك الا ما اكلت فافنيت او لبست فابليت او تصدقت
فابقيت وقول امير المومنين علي كرم الله وجهه احسن الى
من شئت تكن اميره واستغن عمن شئت تكن نظيره واحتج
الى من شئت تكن اسيره فانه استوعب احكام الوردات
ويحكي

Copyright © King Saud University